

- ١٢٦ -

تعتبر من أجمل ما كتب في اللغة الانجليزية وهذه هي الفقرة التي تصف فيها
ضوء الصباح :

وسقط الضوء على الأشجار في الحديقة . وبدأت إحدى الأوراق
شفافة ، ثم أخرى . وغرد طائر في مكان عال ، وكان هناك سكون ، وغرد
آخر في مكان تحته ، وحددت أشعة الشمس جدران المنزل ، واستقرت
كهوف مروحة فوق ستارة بيضاء وخلفت بصمة أصبح زرقاء رقيقة من
الظلال تحت أوراق الأشجار عند نافذة حجرة النوم . وتحركت الستارة
برقة ولكن المدخل كان معتماً وغير ذي بال ، وغنت الطيور لحنها المرسل
في الخارج .

وفي (الأمواج) يجرى البحث عن الحقيقة وقبل نهاية القصة ندرك
أن الحقيقة موجودة ضمناً في كل تجربة ولكن العقل لا يستطيع أن
يجردها ولا تستطيع الكلمات أن تعبر عنها . ويعبر عن ذلك برنارد
الذي كان يحاول دائماً أن يحبس الحقيقة في عبارات ومفردات بقوله :

« لقد سقط كتابي المحشو بالعبارات على الأرض . برقد تحت المنضدة
في انتظار أن تلتقطه الخادمة عندما تأتي مع الفجر متعبة تبحث عن قصاصات
من الورق ، وتذاكر ترام قديمة ، ومن هنا ومن هناك ورقة مطوية في
شكل كرة تركت لها لتكنسها مع باقي الأوراق المهملة . . . السكوت
أحسن بكثير ، فنجال القهوة ، والمائدة . إن الجلوس بمفردي كالطائر
البحري الوحيد الذي يفتح جناحيه أحسن بكثير . دعوني أجلس هنا إلى
الأبد مع هذه الأشياء العارية ، فنجال القهوة هذا ، هذه السكين ، هذه
الشوكة ، أشياء في ذاتها ، وذاتي ذاتها . لا تأتوا وتقلقوني بملاحظاتكم ،
لقد آن الأوان أن أغلق الدكان وأرحل . اني على استعداد أن أضحي
بشروني كلها عن طيب خاطر بشرط ألا تزعجوني . وتدعوني أجلس هنا
وأجلس في صمت وحيداً . »